الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : المناهج النقدية النسقية
ليسانس ماستر 1
تخصص: نقد حديث ومعاصر
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

المنهج التفكيكي

تُعدّ التفكيكية (Deconstruction) من أكثر الاتجاهات الفلسفية والنقدية تأثيراً وإثارة للجدل في الفكر الغربي المعاصر، إذ لم تظهر بوصفها منهجاً نقدياً فحسب، بل بوصفها مشروعاً معرفياً شاملاً سعى إلى زعزعة الأسس التي قامت عليها الفلسفة الغربية منذ أفلاطون حتى الحداثة. وقد ارتبط هذا المشروع باسم الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا الذي عمل على تفكيك أنظمة الفكر المغلقة وتقويض مركزية العقل والحضور والمعنى الثابت.

لقد جاءت التفكيكية في سياق أزمة كبرى عاشها الفكر الغربي، حيث بدأت الشكوك تحاصر مفاهيم الحقيقة واليقين والهوية والمركز، فكان هدفها الأساسي الكشف عن التناقضات الداخلية التي تخفيها النصوص والخطابات الفلسفية والأدبية. ومن ثمّ فإن التفكيك لا يعني الهدم السلبي، بل يعني إعادة قراءة النصوص بطريقة تكشف ما تُخفيه بنيتها الظاهرة من تناقضات وصراعات وإقصاءات.

أولاً: المرجعيات الفلسفية للتفكيكية

لم تنشأ التفكيكية من فراغ، بل استندت إلى عدد من المرجعيات الفلسفية التي مهدت لظهورها، وفي مقدمتها أفكار فريدريك نيتشه ومارتن هايدغر وسيغموند فرويد.

1.نيتشه ونقد الحقيقة

أحدث نيتشه زلزالاً في الفكر الغربي عندما شكك في فكرة الحقيقة المطلقة، معتبراً أن الحقائق ليست سوى أوهام استقر الناس على تصديقها. وقد عبّر عن ذلك بقوله:
»الحقيقة جيش متحرك من الصور المجازية والتشبيهات.«
ومن هنا استمدت التفكيكية نزعتها الشكية التي ترى أن المعنى ليس ثابتاً، بل متحول ومراوغ.

.2هايدغر وتفكيك الميتافيزيقا

تأثر دريدا كثيراً بـ مارتن هايدغر، خاصة في دعوته إلى «تفكيك الميتافيزيقا الغربية». فقد رأى هايدغر أن الفلسفة الغربية قامت على مركزيات ثابتة أخفت حقيقة الوجود.
ومن هنا تبنّى دريدا فكرة أن التفكيك يتم من داخل النصوص نفسها، أي عبر الكشف عن تناقضاتها الداخلية لا عبر مهاجمتها من الخارج.

.3فرويد واللاوعي

كما استفادت التفكيكية من التحليل النفسي عند سيغموند فرويد، خاصة فكرة أن الخطاب الظاهر يخفي داخله طبقات لاواعية من المعاني والرغبات المكبوتة.

ثانياً: المقولات الإستراتيجية للتفكيكية

تقوم التفكيكية على مجموعة من المفاهيم المركزية التي تهدف إلى تقويض استقرار المعنى.

.1الاختلاف والإرجاء(Différance)

يُعد مفهوم «الاختلاف» من أهم مفاهيم دريدا وأكثرها تعقيداً. وقد صاغه بطريقة تجمع بين:

- الاختلاف المكاني (Difference)
- والإرجاء الزمني (Deferral)

فالمعنى عند دريدا لا يُعطى دفعة واحدة، بل يتأجل باستمرار؛ لأن كل دال يقود إلى دال آخر داخل شبكة لا نهائية من العلاقات اللغوية.
لذلك فإن:
»دلالة الكلمة تتوقف على ما لا تعنيه.«
وبهذا يصبح المعنى عملية مؤجلة باستمرار، لا حضوراً ثابتاً ونهائياً.

.2الأثر(Trace)

يرى جاك دريدا أن كل علامة تحمل داخلها «أثراً» لعلامات أخرى غائبة، ولذلك لا يتحقق المعنى بالحضور الكامل، بل عبر تفاعل الحضور والغياب.
فالأثر هو:

- ما يبقى من المعاني السابقة .
- وما يفتح النص على معانٍ لاحقة .
- وما يجعل النص غير مكتمل أبداً .

ومن هنا يصبح المعنى أشبه بـ:
»وميض متواصل بين الحضور والغياب.«

3.نقد الكلم-مركزية(Logocentrism)

هاجم دريدا ما سماه «الكلم-مركزية»، أي الاعتقاد بوجود مركز ثابت للحقيقة والمعنى، سواء كان:

- العقل،
- أو الذات،
- أو الإله،
- أو المؤلف .

وقد اعتبر أن الفكر الغربي بأكمله خضع لـ «ميتافيزيقا الحضور»، أي الإيمان بوجود أصل ثابت يضمن الحقيقة.

أما التفكيكية فترفض وجود أي مركز نهائي، وترى أن المعنى دائماً متحرك ومفتوح على الاختلاف.

ثالثاً: النص والكتابة في الفكر التفكيكي

أحدثت التفكيكية تحولاً جذرياً في فهم النص الأدبي.

1.من «العمل» إلى «النص«

لم يعد الأدب يُنظر إليه بوصفه «عملاً» مغلقاً يحمل معنى واحداً، بل بوصفه «نصاً» مفتوحاً على تعدد الدلالات.

فالنص عند دريدا:

- ليس بنية مكتملة .
- وليس وعاءً للمعنى .
- بل فضاءً للحركة والتشظي والتأويل .

2.لا شيء خارج النص

من أشهر مقولات جاك دريدا:

»لا شيء خارج النص.«

ولا تعني هذه العبارة إنكار الواقع، بل تعني أن الإنسان لا يصل إلى العالم إلا عبر اللغة والخطاب، أي أن كل فهم للواقع يمر من خلال أنظمة العلامات.

3.التناص وتشظي الأصل

تلتقي التفكيكية هنا مع مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا، حيث يصبح النص:

- نسيجاً من الاقتباسات .
- وتراكماً لخطابات سابقة .
- وفضاءً لا بداية له ولا نهاية .

ومن ثمّ تسقط فكرة «الأصل النقي» أو «المعنى النهائي.«

رابعاً: القراءة التفكيكية وإعادة إنتاج المعنى

غيّرت التفكيكية مفهوم القراءة جذرياً، فلم تعد القراءة بحثاً عن المعنى الصحيح، بل أصبحت فعلاً يكشف تناقضات النص ويحرره من سلطته المركزية.

فالقارئ عند التفكيكيين لا يفسر النص، بل:

- يعيد إنتاجه .
- ويكشف ما يخفيه .
- ويفضح تناقضاته الداخلية .

ولهذا فإن مهمة القراءة ليست الوصول إلى يقين، بل إبقاء النص مفتوحاً على احتمالات متعددة.

وقد أصبحت القراءة التفكيكية تقوم على:

- تتبع الهوامش لا المراكز .
- البحث عن المسكوت عنه .
- كشف الثنائيات المتعارضة .
- تفجير المعاني المستقرة .

خامساً: التفكيكية واللعب الحر للمدلولات

تنتهي التفكيكية إلى فكرة أساسية مفادها أن المعنى النهائي مستحيل، وأن النص فضاء لا نهائي للحركة والتأويل.

ومن هنا ظهرت فكرة:

- »اللعب الحر للمدلولات .«

أي أن العلامات لا تستقر على مدلول واحد، بل تتحرك باستمرار داخل شبكة من الاختلافات.

ولهذا قيل إن:

»كل قراءة هي إساءة قراءة.«

ليس لأن القراءة خاطئة بالضرورة، بل لأن كل قراءة ليست سوى احتمال مؤقت سرعان ما يأتي نص أو قارئ آخر لتفكيكه.

سادساً: أثر التفكيكية في النقد المعاصر

أثرت التفكيكية بعمق في عدد كبير من الحقول المعرفية، منها:

- النقد الأدبي .
- الفلسفة .
- الدراسات الثقافية .
- النسوية .
- ما بعد الاستعمار .
- تحليل الخطاب .

كما أسهمت في:

- زعزعة السلطة المركزية للنص .
- تحرير القارئ من سلطة المؤلف .
- تفكيك الثنائيات التقليدية مثل :
  - الحضور/الغياب
  - العقل/الجنون
  - المركز/الهامش
  - الكلام/الكتابة

إن التفكيكية ليست منهجاً نقدياً مغلقاً، بل هي ممارسة فكرية تقوم على الشك وإعادة النظر في كل يقين معرفي. لقد سعت إلى تحرير النص من سلطة المعنى الواحد، وإلى الكشف عن أن اللغة ليست أداة شفافة لنقل الحقيقة، بل فضاء معقداً من الاختلافات والأثار والانزلاقات الدلالية.

وبفضل جاك دريدا تحولت القراءة من عملية تفسيرية تبحث عن المعنى النهائي إلى مغامرة تأويلية لا تنتهي، حيث يصبح النص مجالاً مفتوحاً لـ «اللعب الحر للمدلولات»، وتصبح الحقيقة نفسها قابلة للتفكيك وإعادة البناء باستمرار.